

البنات والشمس والحكاية

خليل فاضل

– وهل أمسك؟!

– نعم!!

حاولت أن أتذكر متى فعلت، أدركت أنه قد يكون
فتى آخر لكنها سارعت قائلة:

– لقد جئت في الحلم وأمسكت بيدي، ثم رفعتها
إلى شفتيك ثم تأملتني، وفي الحقيقة صافحتني، فاختلط
عليّ الورد الأحمر بزهر القرنفل وكدت أطيّر كالفراشة الحائرة.

ابتسمت في خجل مصطنع وقلت:

– هلا دخلنا إلى داخل المكان؟

أومات مجيبة، ثم نهضت، وبدأ جسدها الفاره يمشق
الفضاء حوله، خطت بخطى بسيطة وكأنها تسير على الماء،
وأنا خلفها.. جلست قبالي، تنهدت، شبكت يديها بين
فخذيها ثم قالت:

– إحك لي حكاية..

فكرت قليلاً ثم قلت:

– حكاية قديمة؟

قالت:

– أية حكاية!

قلت:

– حكاية الجنة والنار؟!

كانت ترتدي رداءً أخضر بلون الفستق، وكانت
تقضم تفاحة خضراء فاتحة اللون، وكانت تجلس على أريكة
خشبية بمقدمة المكان. بدت فارعة القوام حتى وهي
جالسة. تنتعل حذاءً بالياً أخضر فاتح اللون بدون خيوط
أورسوم. كان شعرها بنفسجياً وعيناها تضيئان بلون غريب
هومزيج من العسل واللؤلؤ وزرقة البحر. كانت رائحة
البحر تنتشر حواليتها، ولما اقتربت منها توقفت عن القضم
فكان جزء التفاحة داخل فمها والباقي خارجه تمسكه بيدها
البضة. سألتها:

– أمنعتك عن إنهاء تفاحتك؟

أومات بالإيجاب ثم بدأت تلوك قطعة التفاح من
جانب إلى جانب داخل فمها، أحياناً يبدو لسانها القرمزي
ليعلق رحيق التفاح الأخضر المتناثر فوق شفتيها القرمزيتين
وزوايا وجنتيها ذاتي اللون التفاحي الأحمر الخفيف. قالت:

– إجلس، فالشمس طالعة والجو جميل..

جلست، تأملت أنفها الروماني في دقة، كانت عيناها

سادرتين في البعد وكأنها تحلم، قلت:

– رأيتك مع صديقتك تتحدثين يوم التقينا

بالحديقة.

– نعم كنت أقول لها لو أمسك هذا الفتى بيدي

لأحبته!

ضحكت عالياً، استلقت على ظهر المقعد، قامت،
جلست على الأرض وقالت: أنت رائع .. إني أحبك ...

قلت: أنت جميلة .. وأنا أريدك ...

قلت: أنا لا أنام مع كل من يستهويني، فلا بد أن
أكون حقاً أسيرة لك فأعطيك نفسي راضية مرضية .. تعال
هنا أسقيك الخمر والعسل ...

قبلتني بنهم، احتضنتني في رقة، وكنت مستسلماً لها
وكأنني طفل غريب، كانت تدلّني برفق، وتهدهدني بحنوث
صاحت: أتمنى لو أراكك .. لماذا لا تخرج معي إلى
الشمس ...

قلت: أخاف الناس ...

قلت: أتخاف وأنت الرجل؟

قلت: أخاف وأنا العاشق!

ابتسمت في حزن، فتحت باب الغرفة المطل على
الحديقة وخرجت إلى الشمس ترقص على أطراف أصابعها،
ترفرف بجناحها حتى اختفت.

أومات مجيبة فبدأت أحكي: (سأل أحدهم الرب أن
يريه النار فأدخله غرفة تتوسطها منضدة دائرية كبيرة، كان
الناس حوالها، كانت تبدو عليهم علامات اليأس
والقنوط، في وسط المنضدة كان هناك وعاء كبير مليء
بالحساء، مليء حتى ليفوق حافة الجميع، كانت رائحة
الحساء غالبية ومثيرة للشهية. الناس حول المنضدة يسكون
بملاعق خشبية ذات أيدي طويلة جداً، كان بالمستطاع أن
يغرف كل منهم من الحساء ولكن كان من المستحيل العودة
به إلى فمه لأن ذراع الملعقة كانت أطول من ذراع كل
منهم، كانوا يتألمون بشدة ... سأل الرجل الرب أن يريه
الجنة ... فأدخله إلى غرفة أخرى مشابهة للأولى تماماً.
منضدة دائرية كبيرة، وعاء كبير مليء بالحساء والناس
يتسلحون بالملاعق الطويلة الأذرع، كان الناس مبتهجين
وكانت تبدو عليهم أمارات الشبع والغبطة والاكتماء، كانوا
يضحكون عالياً ويتحدثون كثيراً، لم يفهم الرجل السر،
قال الرب: إن المسألة سهلة، تحتاج لمهارة بسيطة، لقد
تعلموا أن يطعم أحدهم الآخر ...)

دار الآداب تقدم

« أطل كولن ولسن كعاصفة على الثقافة العربية منذ ترجم كتابه الأول
« اللامتنى » ، ووجد ترحيباً داخل النفس العربية التي تشهر بأصالتها
لكنها ضائعة وسط الحضارات والثقافات الزائفة التي تسلبها ذاتها ،
وهي الفكرة المحورية في « اللامتنى » لأن المغرب يرى أعمق وهو
ضائع وسط الحشد . ثم انسرب كولن ولسن الى دراسة الحسوارق
والاهتمام بعلم نفس الأعماق .

والمقولة الأساسية في هذا الكتاب « خفايا الحياة » تذهب الى أن
الطاقة المنخفضة تسلّمنا للإنسان الآلي الكامن داخلنا ، والذي يسرع
بالاستيلاء على مقاليد الأمور عندما يرى أننا « متعبون » ، ثم نفقد كل
شعور بالمعنى . ولا بد من الاستيقاظ وزيادة طاقاتنا ورفع الوعي عندما
حتى يمكن أن تتولد فينا الطاقات المخزونة المهسمة ، وبهذا نرقى
في سلم النفوس .

وهذه المقولة منسوجة داخل نسج هائل من المعلومات عن الحسوارق
وعلم نفس الأعماق والغيبيات وعلم الآثار والفلك والديانات القديمة
ودروب التنين والسحر والغيلان والأشباح ..

وبالرغم من أن الانسان العربي ليس محتاجاً الى مزيد من الحديث
عن الغيبيات ، فإن احتياجه بظلمة ، من خلال كتابات ولسن ، الى
أن يعرف المزيد عن الوعي حتى يقتل الإنسان الآلي الكامن في
داخله والذي يشلّه عن الحركة والحياة .

كولن ولسن

خفايا الحياة



دار الآداب